



الخبر والنبأ في أحوال قوم سبأ



الشيخ الدكتور
أبو عبد الرحمن سمير بن أحمد الصباغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبينا
محمد ﷺ، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في
النار.

المبحث الأول

نصّ القصة كما وردت في القرآن الكريم

قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَى ظَهْرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾} [سبأ: ٢١].



المبحث الثاني

معاني مفردات القصة

- ١ - {سَبَأٌ} : قبيلةٌ معروفةٌ في أدنى اليمن تسكنُ بلدةَ مأربَ.
- ٢ - {ءَايَةٌٌ} : دلالةٌ على عظيمِ قدرةِ اللهِ وفضلهِ عليهم بكثرةِ النعمِ.
- ٣ - {جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ} : بستانان عظيمان عن يمينِ وشمالِ الوادي الذي بنوا فيه سدَّ مأربَ؛ لتجميعِ مياهِ السُّيولِ، فيسقون منها بساتينهم.
- ٤ - {كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ} : كلوا الطيبَ من الرزقِ، فكله من فضلِ اللهِ.
- ٥ - {وَأَشْكُرُوا لَهُ} : أكثرُوا من الثناءِ والحمدِ لله على أسمائه وصفاته وأفعاله وذاته ونعمه وآلائه، وأدُّوا حقَّ الله في هذه النعمِ، ولا تعصوا الله فيها.



٦- {بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ}: طيبةُ الهواءِ، كريمةُ التربةِ، عذبةُ الماءِ، كثيرةُ

الخيراتِ.

٧- {وَرَبَّ غُفُورٌ}: لِمَن استغفره وتابَ إليه؛ لِعِظَمِ لُطْفِهِ

ورحمته بعباده.

٨- {فَأَعْرَضُوا}: عن أمرِ الله وشُكره، وكَذَّبوا رسله، وكفروا

بنعمِ الله باستعمالِها في المعاصي.

٩- {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ}: عاقبهم الله على كفرهم

لنعمه بالسيلِ الجارفِ الذي هدمَ السدَّ وأغرقَ البساتينَ، ودمَّرَ
الزروعَ والشمارَ، وهدمَ البيوتَ، وأزالَ النعمَ.

١٠- {وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ}:

خَرَبْنَا بساتينَهُم الطيبةَ، وأبدلناهم بالْخَمْطِ، وهو الثمرُ المرُّ الكريه
الطعم، والأَثَلُ شجرٌ لا ثمرَ فيه، ولا نفعَ.

١١- {وَشَيْءٌ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ}: أي: قليلٍ من شجرِ النَّبَقِ، وهو

كثيرُ الشُّوكِ.



١٢- {ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا^ط}: بدّلهم بالخير شراً، وأزال

عنهم النعم بسبب كفرهم بنعم الله، وفجورهم وعصيانهم في أرض الله، وعدم الشكر.

١٣- {وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ}: الجحود لنعم الله تعالى.

١٤- {الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا}: هي قرى بلاد الشام، بيت

المقدس وما حوله. وقيل: هي قرى صنعاء المليئة بالخيرات.

١٥- {قَرَى ظَهْرَةٍ}: أي: جعل الله لهم أمناً وأماناً وأنساً وقرباً،

فجعل بين أهل سبأ باليمن وبين بلاد الشام قرى متصلة، بعضها ببعض لتمام الأمن وكثرة النعم.

١٦- {وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ^ط}: على مسافات معينة معروفة؛

بحيث يعرفونها، ولا يتيهون عنها.

١٧- {سَيَرُوا فِيهَا لِيَالِيًّ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ}: يسيرون آمنين في رغد

وسعة سيراً مقدراً من منزل إلى منزل بلا مشقة ولا خوف، في أي ساعة من ليل أو نهار.

١٨- {بَعْدَ بَيْنٍ أَسْفَارِنَا}: ملؤا الأمن والراحة ورغد العيش،

وتمنوا المشقة، وبعد السفر، وعدم الأُنس والأمان والرغد.



١٩- {وَزَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ}: بالكفر والشرك والمعاصي.

٢٠- {فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ}: عبراً لمن يأتي بعدهم، يُضْرَبُ بهم

المثل، فيقال: «تفرّقوا أيدي سبأ».

٢١- {وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ}: مزّقناهم بعد أن كانوا مجتمعين،

وأخفناهم بعد أن كانوا آمنين، وشتّنا شملهم، وخرّبنا ديارهم.

٢٢- {لَا يَتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}: جعلناهم عبرة وعظة لكل

صَبَّارٍ على البلاء والشدائد، شكورٍ لنعم الله بقيامه بحق الله في طاعته، واجتناب معصيته، فالصَبَّارُ الشَّكُورُ هو الذي إذا أُعْطِيَ شكرًا، وإذا ابتُلِيَ صبرًا.

٢٣- {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ}: بأنه سيُضِلُّ بني

آدم كما قال: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ

الْمُخْلِصِينَ (٨٣) {ص: ٨٢، ٨٣}، فكان ظناً منه أنه يمكن أن يفعل ذلك،

وقد تحقّقه في قوم سبأ وأمثالهم من الطّغاة المجرمين الذين

أضلّهم الله بشؤم فساد قلوبهم.



المبحث الثالث

المعنى الإجمالي للقصة

من عظيم فضل الله تعالى على خلقه أنه علمهم بشتى الوسائل والطرق التي تنفعهم في دينهم و دنياهم وآخرهم، فمن ذلك ما ذكره عن بعض قصص السابقين؛ لأخذ العبرة والعظة منها، ولسلوكم مسلك الصالحين، فيفوزوا كما فازوا، ولاجتنب مشارب الهالكين؛ حتى لا يهلكوا كما هلكوا، ولا يخسروا كما خسروا.

ومن هذه القصص العجيبة التي فيها العبر والعظات للخلق قصة قوم سبأ من أهل اليمن، ففي زمن من الأزمان قد أصدق الله عليهم صنوف النعم، فأسبغ عليهم نعمة الأمن والأمان والاستقرار، ورغد العيش؛ فكثرت الزروع والثمار، وازدهرت التجارات بين اليمن وبلاد الشام، وسهل الله لهم الطرق، وهياً لهم السبل بلا مشقة، ولا خوف، ولا تعب.



ومن هذه النعم كثرة الأمطار النافعة، وهياً لهم عمل السدّ المعروف بسد مأرب؛ لتجتمع فيه أمطار السيول، وجعل لهم جنتين من جنات الدنيا، في بساتين عامرة وزاهرة بألوان الزروع والثمار والفواكه مما يصلح لهناء الإنسان والطير والحيوان.

وعن يمين السدّ وشماله تربة خصبة كريمة، وهواء نقي، وجو جميل، وأفنان نديّة، وأغصان كثيرة، وطعام طيب من كل ما سأله وتمنّوه، ومساكن واسعة فضلاً من الله ونعمة، وابتلاء له، هل سيكونون شاكرين لله على نعمه وفضله، أم أنهم سيغترون بهذه النعم، ويتكبرون بها على أوامر الله وعلى خلقه، فيكفرونها؟! وقد أمرهم الله أن يأكلوا ويتمتعوا برزق الله، وأن يشكروه على نعمه بإقامة دينه، وإخلاص العبودية له، وأداء حق الله في هذه النعم، وعدم عصيانه بها.

لكنهم كحال غيرهم من المتكبرين المفسدين طغوا وبغوا،



وأظهروا في الأرض الفسادَ بكفرهم وشركهم وعصيانهم لله
ورسله؛ قال الله سبحانه: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ} ٦ ٧ {أَسْتَغْنَى} [العلق: ٦-٧].

فكان الغنى وكثرة النعم سبيل الطغيان والكفران لا الشكر
والحمد.

أعرضوا عن شرائع الله ورسله، فعاقبهم الله بأن أزال هذه النعم
من بين أعينهم، وبدّل حالهم إلى أسوأ حال، وجعلهم أحاديث
يتحدث الناس بهم، ويضربون بهم الأمثال، فجعلهم عبرة
للمعتبرين، بشتيت شملهم، وتفريق جمعهم.

فلما أعرضوا أرسل الله عليهم سيلاً جارفاً فدمّر سدّهم، وهدم
بيوتهم، وأهلك زروعهم وثمارهم، وأباد خيرهم، وأبدلهم المرّ
الخبث الذي لا يُطاق أكله من الزرع والتمر، فأنبت أرضهم
الخمط، وهو النبات المرّ الكريه للنفس، والأثل؛ وهو الشجر
الذي لا ثمر فيه ولا فائدة، والقليل من النبق المحفوف بالشوك
الكثير؛ جزاء كفرهم بالله ورسله، ونعمه، وآلائه، وفجورهم



ومعاصيهم.

وكان من جحودهم أنهم استكثروا نِعَمَ الله، فملوها كما ملّت
 بنو إسرائيل المَنّ والسَّلوى، وطلبوا من موسى البصل والثوم
 ونحوهما، {فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا}، فطلب قومُ سبأ
 المشقة والخوف، وبعَدَ السفرِ بعد أن كانوا آمنين، وكان سفرهم
 هيناً سهلاً محفوفاً بالأنسِ بقرب القرى بعضها من بعضٍ في طريق
 سفرهم، فكثرت خيراتهم، ورغد عيشهم، فأجاب الله طلبتهم،
 وسلب منهم النعم، وباعد بين أسفارهم، ومزقهم كلَّ ممزقٍ،
 فشئت شملهم، وفرّق جمعهم، وأهلك من أهلك منهم، وجعلهم
 عبرةً للمعتبرين، وآيةً للصابرين على البلاء، والشاكرين على
 النعماء؛ لِيَحْمَدُوا الله على ما هم فيه مِنَ النعمِ الدنيئة والدنيوية،
 المعنوية والحسية.



المبحث الرابع الدروس المستفادة من قصة قوم سبأ

اشتملت هذه القصة العجيبة على كثير من الدروس والعظات والعبر، نذكر منها ما يأتي:

١ - فضل الله على هذه الأمة بتعليمها ما ينفعها للعمل به، وما يضرها لتجنبه، بالقصة تارة، وضرب الأمثال تارة، والأمر والنهي، ونحو ذلك، قال تعالى: {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء: ١١٣]، وقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف: ١١١]، وقال: {فَأَقْصَصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: ١٧٦].

٢ - سُميت سورة سبأ باسم قوم سبأ؛ لعظيم ما في قصتهم من العبرة والعظة، فقد بدأت السورة ببيان ربوبية الله وألوهيته، وقدرته



وعَظَمَتِهِ، وفيها الإخبارُ عن كَفَارِ مَكَّةَ وتَكْذِيبِهِم للرسولِ صلى الله عليه وسلم، وسَخَرِيَّتِهِم منه، وإنْكَارِهِم للبعثِ والجزاءِ، وقد هَدَّاهُم اللهُ بالعذابِ مِنْ فَوْقِهِمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، ثم أَعْقَبَ ذلك بقِصَّةِ داودَ وسليمانَ عليهما السلام، ثم بقِصَّةِ سبأَ، وكلاهما مِمَّنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم بِالْخَيْرَاتِ، وَرَزَقَهُم الطَّيِّبَاتِ، حَتَّى شَبِعُوا وَأَمِنُوا؛ وَلَكِنَّ آلَ داودَ آمَنُوا وَشَكَرُوا، وَآلَ سبأَ بَطَرُوا وَكَفَرُوا، فَكَانَتِ الْقِصَّتَانِ مَثَلَيْنِ لِأُمَّتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا شَكُورَةٌ، وَالْأُخْرَى كَفُورَةٌ، وَكَانَتْ أُمَّةُ داودَ مَثَلًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ بِرَحْمَةِ اللهِ لَهُمْ.

وَفِي ذَلِكَ تَثْبِيتٌ لَهُمْ عَلَى إِيمَانِهِمْ، وَرَبْطٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَبَشْرَى لَهُمْ بِالرَّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا كَانَتْ أُمَّةُ سَبَأَ الْكَفُورَةِ الْمَعَذَّبَةِ مَثَلًا لِكِفَارِ قَرِيشٍ؛ لِإِنْذَارِهِم بِالْعَذَابِ، وَأَنْ يَحُلَّ بِهِمْ مِثْلُ مَا حَلَّ بِقَوْمِ سَبَأَ.



٣- الإِعْرَاضُ عَنِ دِينِ اللَّهِ سَبَبُ الْبَلَاءِ وَالْفِتَنِ زَوَالِ الْمَمَالِكِ

وَالنَّعْمُ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: {فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧) {طه: ١٢٣، ١٢٧}.

وهنا في هذه القصة العجيبة بين الله تعالى أنه أصدق على أهل سبأٍ بعضِ النعم، وأمرهم بشكره؛ ولكنهم أعرضوا عن الله ورسله، وأعرضوا عن طاعته، وارتكبوا معاصيه، وكفروا بنعمه، {فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ} [سبأ: ١٦]، فعاقبهم الله بالسيل الجارف الذي أغرق بيوتهم، ودمر مساكنهم، وأهلك زروعهم ومواشيهم، وحرّمهم ما كانوا فيه من نعيم الدنيا.

٤- {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} : كان

أهل سبأٍ في نعيمٍ عظيم، ورغدٍ وسعة، وأمنٍ وأمانٍ واستقرارٍ، فلما



كفروا النعمَ وعصوا أمرَ ربِّهم كان التغيُّرُ والتبدُّيلُ؛ {وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾}

[سبا: ١٦]، وهو السدر البرِّي كثيرُ الشوكِ، قليلُ الثمرِ، قليلُ النفعِ، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾} [يونس: ٤٤]، وقال سبحانه: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا بِعَمَلِ غُلَامٍ خَذَلْتَهُ فَأُولَئِكَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا عَظِيمًا ﴿٥٣﴾}

[الأنفال: ٥٣]، وقال سبحانه: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾}

[النحل: ١١٢].

٥ - الشكرُ سبيلُ دوامِ النعمِ وزيادتها وبقائها، والكفرُ سبيلُ زوالِ النعمِ وقلتها وفنائها: قال الله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾}

[إبراهيم: ٧]، وقال سليمان عليه السلام لما رأى كثرةَ نِعَمِ الله عليه وعلى أمته: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ



شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ^ط وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾
 [النمل: ٤٠]، وقال سبحانه: {أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرُ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
 لِنَفْسِهِ^ط وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٤١﴾} [لقمان: ١٢].

وقال سبحانه: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى
 لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
 أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
 إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾} [الزمر: ٧].

وهؤلاء قوم سباً أمرهم الله بشكره على ما أنعم عليهم، فقال:
 {كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾}
 [سبأ: ١٥]، فكفروا النعمة، فأزال الله عنهم ما كانوا فيه من الخير بشؤم
 كفرهم؛ ولذلك قال: {وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾} [سبأ: ١٧].

والشكر يكون باللسان والقلب والجوارح، ويكون باستعمال
 نعم الله في طاعته، وأداء ما أمر الله به فيها، فنعم الله لا تعد ولا
 تحصى، {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ
 كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾} [إبراهيم: ٣٤].



ولهذا أمر الله جل وعلا بشكره على ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه وآلائه، فقال سبحانه: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢]، وقال: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلَوْلَا دِيكَ إِلَى الْمَصِيرِ} [لقمان: ١٤]، وقال: {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر: ٦٦]، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢].

ومعنى الشكر كما قال ابن القيم رحمه الله:
الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبةً، وعلى جوارحه انقياداً وطاعةً^(١).

ومن هنا نعرف أركان الشكر الثلاثة وهي:

١- الاعتراف بالنعمة بالقلب.

٢- التحدث بها والثناء على المنعم باللسان.

٣- تسخيرها في طاعة الله مسديها والمنعم المتفضل بها.

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٤).



قال تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾} [الضحى: ١١]، وقال:

{أَعْمَلُواْ ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾}

[سبأ: ١٣]، وهذا يكون بطاعته جل وعلا وامثال أوامره بالقلب واللسان والجوارح.

ويكفي أن الشُّكْرَ صفةُ الله ربِّ العالمين، وأن من أسمائه

الحسنى: الشاكر والشكور، قال سبحانه: {وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ

اللَّهُ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾} [البقرة: ١٥٨]، وقال: {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾}

[الشورى: ٢٣]، وقال: {وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾} [التغابن: ١٧]، وهو سبحانه

الذي لا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، ويشكرُ القليلَ من العملِ

الخالصِ، ويُجازي عليه الكثيرَ، ويعفو عن الزَّلَّاتِ، ويُضَاعِفُ

الحسنات.

وكذلك هو صفةُ الأنبياءِ والصالحين، كما قال الله عن نوحٍ

عليه السلام: {إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣٠﴾} [الإسراء: ٣٠] وقال عن

إبراهيم عليه السلام: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾} شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ



مُسْتَقِيمٌ ﴿١٢١﴾ [النحل: ١٢١].

وقال النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشاكرين الحامدين: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(١)، وذلك بكثرة عبادته لربه وقيامه بما أمره الله به.

وقال الله لموسى عليه السلام: {فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ} ﴿١٤٤﴾ [الأعراف:]، فكان من الشاكرين، ومن ذلك أنه صام يوم عاشوراء شكراً لله على إنجائه وقومه من كيد فرعون وجنوده.

ومن ثمرات الشكر:

أ- أنه أَمَنَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، كما قال سبحانه: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَعَاسَمْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} ﴿١٤٧﴾ [النساء: ١٤٧]، فهو سبحانه لا يُعَذِّبُ شَاكِرًا كما قال قتادة وغيره.

^(١) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).



ب- سببٌ لرضا الله عن العبد، كما قال سبحانه: {وَأِنْ

تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: ٧].

ج- سببٌ لبقاء النعم وزيادتها، كما قال سبحانه: {لَئِنْ

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧]، فالشكر يحفظ النعم الموجودة،
ويجلب النعم المفقودة.

د- الجزاء العظيم للشاكرين، كما قال الله سبحانه: {وَسَنَجْزِي

الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٥]، وقال تعالى: {وَسَيَجْزِي اللَّهُ

الشَّاكِرِينَ} [آل ١٤٤].

ومن تمام شكر النعم أن نشكر من أحسن إلينا من خلق الله،
ونعرف فضله، ونحمد جميل صنعه لنا، وندعو له بالخير، ونكافئه
على قدر الاستطاعة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم «لَا يَشْكُرُ
اللهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»^(١)، وقوله: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا

(١) أخرجه أحمد (٧٩٣٩).



فَكَافُّوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافُّونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَّاتُمُوهُ»^(١).

وعن أسامة بن زيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا؛ فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الشَّاءِ»^(٢).

وعن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ، فَإِنْ مَنِ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ، وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ»^(٣).

٦ - مَلَأَ بَنِي آدَمَ مِنْ كَثْرَةِ الْخَيْرَاتِ سَبَبٌ فِي زَوَالِهَا: فَأَهْلُ سِبَاً مَلَّوْا مِنْ كَثْرَةِ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ، فَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُضَيِّقَ عَلَيْهِمْ: {فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} ^(١٩)

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨١٣)، حسَّنه الألباني.



[سباً: ١٩]، وبَطَرُوا النِّعَمَ الكثيرة، ودَعَوْا بالمشقة والبُعد، بعد أن كفاهم الله مَوْنةَ السفرِ ومشقَّتَه، ورفعَ عنهم عَنَتَ الطريقِ ولصوصَه، وذلك باتصالِ القرى بينهم وبين الأرضِ المباركةِ بلادِ الشام، فكانوا يسافرون آمنين مطمئنين من اليمنِ للشام، لا يحملون زاداً لوفرتِه في طريقهم، يسيرون ويستريحون متى شاءوا في القرى التي في طريقهم، فملَّوا هذه النِّعَمَ، وسألوا المشقةَ والتعبَ والبعدَ، فبدَّلَ اللهُ حالهم، وأزال عنهم ما هم فيه من النعيمِ، وكان حالهم كحالِ بني إسرائيل الذين ملَّوا المَنَّ والسلوى، وقد قال لهم الله: {كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾} [٦٠].

قال الله عن بني إسرائيل: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ۖ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا



يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بْنَ بَعِيرٍ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ [البقرة: ٦١].

ولهذا قال الله سبحانه: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾} [القصص: ٥٩]، وقال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾} [النحل: ١١٢].

٧- آياتٌ لكلِّ صبارٍ شكور:

في هذه القصة العجيبة عدة آيات بينات دالة على عظمة الخالق، وأنه المتصرف في هذا الكون، وكلُّ شيءٍ بمشيئته، ومن ذلك:



- ما كان فيه أهل سباً من المساكن الطيبة والبلد الطيبة ورغد العيش آية على قدرة الله ورحمته، وإنعامه، وفضله، وكرمه، وجوده.

- إرسال السِّل الجاري العارم عليهم بعد كفرهم للنعم آية على شدة انتقام الله وسرعة عذابه لمن أعرَض عن دينه وعاداه.

- تحوُّل حالهم من النعمة إلى النعمة، ومن العزِّ إلى الذلِّ، ومن السَّعة إلى الضيق، ومن الغنى إلى الفقر: آية عظيمة على أن الله تعالى هو المالك المَلِك، المدبِّر، المُتصرِّف في عباده، يرحم من يشاء فضلاً منه ورحمةً، ويُعذِّب من يشاء عدلاً منه وحكمةً، ويُعزِّز من يشاء، ويذل من يشاء، ويرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، له الحكمة البالغة، وهو الحكيم الخبير.

- نعمة الأمن والطعام آية على أنهما من أعظم أسباب رَغَد العيش في هذه الدنيا، وهما محض فضل من الله، ولا يتحقق إلا



بِإِقَامَةِ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا

إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [٨٢] .

- تمنّي أهل سبأ المشقة والشدة والضيق آيةً على سفه وانحطاط أكثر العقول البشرية التي تضرّ بنفسها وغيرها بمعصيتها لله تعالى.

- قدرة الربّ جل وعلا على تحويل النعم إلى نقم والمنح إلى مِحَن، فالماءُ نعمةٌ عظيمةٌ بها حياةٌ كل شيء، وكان سرّ الرّغد والسّعة التي كان فيها أهل سبأ، فحوّل الله هذه النعمة العظيمة إلى نقمة كبيرة عليهم، فدمّر به معاشهم، وأهلك نعيمهم، ودمّر بيوتهم، ومزّقهم كلّ ممزّق، وشتّت شملهم، وفرّق جمعهم، وأذلّهم، وجعلهم أحاديث يُضربُ بهم الأمثال.

٨- شؤم الدّعاء على النفس والمال والولد والأهل:

لَمَّا دَعَا أَهْلُ سَبَأٍ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَنْ يَبَاعِدَ اللَّهُ بَيْنَ أَصْفَارِهِمْ، وَأَنْ يبدّلَهُمْ مشقةً بعد اليسر، وضيقاً بعد السّعة، استجاب الله دعوتهم، وأزال عنهم ما كانوا فيه من النعيم، وبدّلهم لأسوأ الأحوال،



وجعلهم عبرة لمن يعتبر؛ ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم
 أَنْ يَدْعُوا الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ، فقال: «لَا تَدْعُوا عَلَى
 أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا
 تَوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ،
 فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»^(٢).

٩- المعاصي والانحراف عن الفطرة السليمة والدين القويم

والأخلاق الكريمة سبب في زوال الدول: معصية الله أساس كل
 انقسام للمجتمع وتمزيق له، وزوال للنعم، وحلول للنقم، وقد بين
 الله جل وعلا في الكتاب العزيز ما حصل لدولة فرعون وجنوده
 بشؤم الكفر والشرك والمعاصي، فقال سبحانه: {فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ
 مَعَهُ جَمِيعًا} [الإسراء: ١٠٣]، وما حصل لقوم عاد، قال سبحانه:

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (٩٢٠).



{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾ وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾}

[الفجر: ٤: ١].

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاغُوتُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُؤُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ



أَتَمَّتْهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْمِهِمْ
بَيْنَهُمْ»^(١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا ظَهَرَ الزَّنا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ
فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ»^(٢).

وسبق أن دمر الله قوم نوح بماء منهمر من السماء، وفجر
الأرض عيوناً من تحت أرجلهم، وأغرقهم بالطوفان بشؤم الشرك
الذي ظهر فيهم، وهو الغلو في الصالحين، والطواف حول
قبورهم، والاستغاثة بهم، ودعاؤهم من دون الله بطلب المدد
ونحوه، والذبح والندى لهم، وإقامة الموالد - وهي أعياد
الجاهلية - حول قبورهم، ونحو ذلك من مظاهر شرك القبور،
والغلو في الصالحين، وهنا قال الله تعالى عن قوم سبأ: {ذَلِكَ
جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ} [سبأ: ١٧]، وقبلها

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الحاكم (٢٢٦١)، وصححه الألباني.



قال: {فَاعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾} {سبا: ١٦}.

وهؤلاء بنو إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام بعد كثرة نعم الله عليهم: {لَن تَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾} {البقرة: ٦١}.

وكان الحرمان من الله لهم: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٦﴾} [المائدة: ٢٦].

وقال عنهم: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾} فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾} [٦٦]، وقال سبحانه: {وَكَايْنِ



مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا تُنْكِرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا حُسرًا ﴿٩﴾ {الطلاق: ٨، ٩}، وقال سبحانه: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ {النحل: ١١٢}

وذلك كاهل سباً ومن شابههم من الأمم، قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيِّرًا نِّعَمَهُ أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ {الأنفال: ٥٣}.

١٠ - مراتب الانحراف عن منهج الله وحلول العقوبات:

الشیطان عدوٌّ للإنسان، قال تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ {يوسف: ٥}، وحتى يُوقِعَهُ فِي عِقَابِ اللَّهِ فإنه يتدرَّج معه في المعاصي؛ حتى يَصِلَ إِلَى إِهْلَاكِهِ وَسَخَطِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فبداية انحراف ابن آدم تكون على النحو الآتي:

أ- الغفلة عن شكر الله على النعم، قال الله تعالى: {كُلُوا مِن



رَزَقَ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ {سبأ: ١٥}،
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ»^(١).

فإنَّ اللهَ أَمَرَ بِالشُّكْرِ، ويأتي الشيطانُ يُسَوِّلُ للناس الغفلةَ عن ذلك،
وهذه بداية الانحراف.

ب- الإعراض عن الطاعات، واستعمال النِّعم في المحرِّمات،
كما قال الله تعالى عن قوم سبأ: {فَأَعْرَضُوا}.

ج- التَّرفُّ والبَطَرُ والكِبَرُ وسوءُ الأدبِ ومللُ النِّعم، كما قال
أهل سبأ: {رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَصْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} {سبأ: ١٩}.

د- نزولُ العقوبةِ وحلولُ النِّقم، وزوالُ النِّعم، كما قال سبحانه
عن أهل سبأ: {فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ
بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِیْ أَكْلِ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾
ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾} {سبأ: ١٧}.

(١) أخرجه أحمد (١٩٩٣٤)، والترمذي (٢٨١٩)، وصححه الألباني.



١١ - السعيد من وعظ بغيره: لما ذكر الله حال قوم سباً وما

كانوا فيه من الرغد والسعة، ثم ما كان من إعراضهم وكفرهم لنعم الله، ثم حلول العقوبة بهم، قال سبحانه: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [سبأ: ١٩] فالصابر على طاعة الله وعن معاصيه وعلى أقداره المؤلمة، والشاكر لربه بلسانه وقلبه وجوارحه هو الذي يعتبر بما حصل لقوم سباً، فيتقي الله ويخشاه، ويلزم الشكر، ويدعو ربه بالثبات على الهداية وحسن الخاتمة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، فَوَاهَا!»^(١).

١٢ - وجوب التوبة من المعاصي والذنوب، وإقامة واجبات

الشكر حتى يستقيم حال الخلق، قال الله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١].

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٦٣)، وصححه الألباني.

فَالذُّنُوبُ سَبَبٌ لِلْعُقُوبَاتِ، فَإِذَا تَابَ النَّاسُ وَأَنَابُوا وَرَجَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ، وَاسْتَقَامُوا؛ غَفَرَ اللَّهُ لَهُمْ، وَتَابَ عَلَيْهِمْ، وَأَصْلَحَ حَالَهُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [٣١]، فَإِنْ تَابُوا عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَفْلَحُوا.

١٣- «سَبَأٌ» كَانَ رَجُلًا مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ وَأَهْلِيهَا، وَكَانَتْ

«بَلْقِيسُ» صَاحِبَةُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَام مِنْهُمْ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سَبَأٍ، مَا هُوَ أَرْجُلٌ أَمْ امْرَأَةٌ أَمْ أَرْضٌ؟ فَقَالَ: «بَلْ هُوَ رَجُلٌ وَلَدَ عَشْرَةً، فَسَكَنَ الْيَمَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ، وَبِالشَّامِ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ، فَأَمَّا الْيَمَانِيُّونَ: فَمَذْحِجٌ وَكِنْدَةُ وَالْأَزْدُ وَالْأَشْعَرِيُّونَ وَأَنْمَارٌ وَحِمِيرٌ، عَرَبًا كُلُّهَا، وَأَمَّا الشَّامِيَّةُ: فَلَحْمٌ وَجَذَامٌ وَعَامِلَةٌ وَغَسَّانٌ»^(١).

وَعَنْ فَرْوَةَ بِنِ مُسَيْكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرْضٌ سَبَأٌ أَوْ امْرَأَةٌ؟

(١) أخرجه أحمد (٢٨٩٨)، وقال الحافظ ابن كثير في التفسير (٦/ ٥٠٤): إسناده حسن. وصححه الشيخ أحمد شاكر في المسند، وقال: إسناده صحيح.



قَالَ: «لَيْسَ بِأَرْضٍ وَلَا امْرَأَةٍ، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ وَلَدَ عَشْرَةً مِنَ الْعَرَبِ، تَشَاءَمُ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ، وَتَيَمَّنُ سِتَّةٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ تَشَاءَمُوا: فَعُكٌّ، وَلَحْمٌ، وَغَسَّانٌ، وَعَامِلَةٌ، وَأَمَّا الَّذِينَ تَيَمَّنُوا: فَالْأَزْدُ، وَكِندَةُ، وَمَذْحِجٌ، وَحَمِيرٌ، وَالْأَشْعَرِيُّونَ، وَأَنْمَارٌ». قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا أَنْمَارٌ؟ قَالَ: «الَّذِينَ مِنْهُمْ خَشَعَمٌ وَبَجِيلَةٌ»^(١).

وقال ابن كثير: ومعنى قوله: «وَلَدَ عَشْرَةً مِنَ الْعَرَبِ»؛ أي: كان من نسل هؤلاء العشرة الذين يرجع إليهم أصول القبائل من عرب اليمن، لا أنهم ولدوا من صلبه؛ بل منهم من بينه وبينه الأبوان والثلاثة، والأقل والأكثر، كما هو مقرر مبين في مواضعه من كتب النسب^(٢).

إِذَا هَؤُلَاءِ الْعَشْرَةُ تَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ، وَحَصَلَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ فِي الْيَمَنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ، فَتَحَصَّلَ أَنَّ بِالشَّامِ

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) تفسير ابن كثير لسورة سبأ (٥٠٧/٦).



قبائل عربية أصلها في اليمن، والتفرق هذا حصّل بعد سيل العرم، وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «تَشَاءَمَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ، وَتَيَمَّنَ سِتَّةٌ»؛ أي: بعدما أرسل الله عليهم سيل العرم منهم من أقام ببلادهم، ومنهم من نزح إلى غيرها^(١).

١٤ - نعمة المسكين نعمة عظيمة أيّا كانت، تستوجب الشكر

عليها ليلاً ونهاراً: من عظيم نعم الله على العبد أن يجعل له مسكناً يأوي إليه، يستتر به عورته، ويأمن فيه من الحرّ والبرد، والهوام، ونظرات الناس، ونحو ذلك؛ ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند منامه: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِي»^(٢).

فسواء كان هذا المسكين ملكاً لصاحبه أو بالإيجار ونحو ذلك فهو نعمة عظيمة من الله جل وعلا، وهذا من عظيم ما امتن به على

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٥).



قوم سبأ، فقال: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ وَبَلَدُهُ طَيِّبَةٌ وَرَبُّهُ غَفُورٌ ﴿١٥﴾} [سبأ: ١٥]؛ مساكن طيبة واسعة، هواء طيب، ماء عذب طيب، أرض خصبة طيبة، مساكن تحفها الأشجار والزهور والرياحين، والنسيم الطيب، والخضرة والماء العذب.

فسعة الدار وحسن الجوار من عظيم النعم، ومن أعظم أسباب السعادة؛ ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ: الْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ»^(١)، وكان يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي»^(٢).

١٥ - النعمة إذا لم يقم العبد بشكرها ستكون عذاباً ونقمة

عليه: فالماء الذي منحه الله لقوم سبأ كان سر سعادتهم ورغد عيشهم، كما قال سبحانه: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٥).



يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فبالماء يحيا الإنسانُ والطيرُ والحيوانُ والنباتُ والزرعُ والثمرُ والشجرُ، وبدون الماء يموتُ كلُّ شيءٍ.

والماء الذي أنعم الله به عليهم وكان سرَّ حياتِهِم وسعادَتِهِم هو الوسيلةُ التي عاقب بها أهل سبأ، وجعلها نعمةً عليهم، **{ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ }**، فدمَّر به حياتَهُم وبيوتَهُم وسدَّهم وزروعَهُم وجنَّتَيْهِم، وشَتَّت به شملَهُم، ومزَّقَهُم في البلاد شرَّ ممزَّقٍ، وجعلهم أحاديثَ على ألسنة الناسِ، يُضْرَبُ بهم الأمثالُ، وعبرةٌ لِمَن يعتبر!

وهكذا كلُّ نعمةٍ؛ إذا لم يؤدِّ العبدُ حقَّ الله فيها أذَّله الله بها، وأزالها من بين عينيه.

١٦- ما نَزَلَ بلاءٌ إِلَّا بذنبٍ: فالله جل وعلا لا يهلك قوماً بغير

ذنبٍ، قال تعالى: **{ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ }** [الشورى: ٣٠]، وقال: **{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا**



كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ [القصص: ٥٩].

وقال تعالى: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٩﴾} [العنكبوت: ٤٠].

وصلِّ اللهم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم!

آمين آمين!



فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
٣	مقدمة
٤	المبحث الأول: نصُّ القصة كما وردت في القرآن الكريم
٥	المبحث الثاني: معاني مفردات القصة
٩	المبحث الثالث: المعنى الإجماليُّ للقصة
١٣	المبحث الرابع: الدروس المستفادة من قصة قوم سبأ
١٣	فضلُ الله على هذه الأُمَّة بتعليمها ما ينفعُها للعملِ به، وما يضرُّها لتجنبه
١٣	سُمِّيت سورة سبأ باسم قومٍ سبأ؛ لعظيم ما في قصتهم من العبرة والعظة
١٥	الإعراض عن دين الله سببُ البلاء والفتنِ وزوالِ الممالكِ والنعم
١٥	{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}
١٦	الشكرُ سبيلُ دوامِ النعمِ وزيادتها وبقائها، والكفرُ سبيلُ زوالِ النعمِ وفنائها
٢٢	مَلَأَ بَنِي آدَمَ مِنْ كَثَرَةِ الْخَيْرَاتِ سببٌ فِي زَوَالِهَا
٢٤	آيَاتُ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
٢٦	شَوْمُ الدُّعَاءِ عَلَى النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ وَالْأَهْلِ



المعاصي والانحراف عن الفطرة السليمة والدين القويم

والأخلاق الكريمة سبب في زوال الدول

٣١

مراتب الانحراف عن منهج الله وحلول العقوبات

٣٣

السعيد من وعظ بغيره

٣٣

وجوب التوبة من المعاصي والذنوب، وإقامة واجبات الشكر

حتى يستقيم حال الخلق

٣٤

«سباً» كان رجلاً من ملوك اليمن وأهلها

٣٦

نعمة المسكن نعمة عظيمة أيًا كانت، تستوجب الشكر عليها

ليلاً ونهاراً

٣٧

النعمة إذا لم يقم العبد بشكرها ستكون عذاباً ونقمةً عليه

٣٨

ما نزل بلاء إلا بذنب

